إصلاحات محمد علي باشا في مصر من وجهات نظر مختلفة
-دراسة تقييمية-

Muhammad Ali Pasha's reforms in Egypt from different points of view-Evaluation study-

اسم ولقب المؤلف المرسل للمقال: فاطمة بن عيسى- BENAISSA FATIMA صص273- 286
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه تاريخ- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- وباحثة في مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1 (الجزائر) / البريد الإلكتروني: fatbenaissaa@gmail.com
اسم ولقب المؤلف الثاني: دحو فغرور- FAGHROUR DAHO
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية - جامعة وهران1 (الجزائر).
البريد الإلكتروني:dahofaghrour@hotmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/06/08 تاريخ المراجعة: 2020/07/05 تاريخ القبول: 2020/07/25

الملخص باللغة العربية: كتب الكثير من المؤرخين عن محمد علي باشا وعن تجربته ونهضته بمصر، لكن نظرتهم كانت في صورتين متناقضتين، كلاهما يقع على طرف بعيد عن الآخر، الصورة الأولى تُظهر لنا محمد علي في صورة المصلح والمنقذ والبناء العظيم، أما الصورة الثانية فتظهره جبارا طاغية؛ غليظ الفؤاد؛ يتحكم في مصير البلاد كما يتحكم في ملكه، لكن أغلب الشهادات تتفق على وصفه بالرجل المتعطش إلى السلطة وإلى العمل العسكري والمزايدات السياسية التي جعلته المبالغة فيها يتناسى حدوده وإمكانياته، وبهذا سيبدو جديراً بكونه الأخ التوأم لمثيله نابليون بونابرت، كما تضاربت تلك الآراء فيما بينها حول الأسباب التي أدت إلى تلك التوسعات وعن أهدافها، الأمر الذي شكل علامة استفهام، وبالتالي أخذ المؤرخون الذين تناولوا هذه المسألة أو أشاروا إليها بصورة أو بأخرى ينظر كل واحد منهم إلى المسألة بمنظاره، وبمفهوم قد يتفق أو يختلف مع غيره، حيث أعاد بعضهم إلى أسباب شخصية، والبعض الآخر الى أسباب دينية، والبعض إلى أسباب قومية؛ فشخصية محمد علي في تاريخ مصر الحديث أكثر الأسماء إثارة للجدل والاختلاف؛ بين من يرفعون شأنه، ويصفونه بباني الدولة المصرية الحديثة، وبين من يقولون أنه كان مساعدا على هدم الكيان الإسلامي، وأن الدول الأوروبية الاستعمارية استخدمته كآداة للقضاء على الحركة الدينية الوهابية التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية، والإجهاز على الخلافة الإسلامية العثمانية ومحمد علي.

الكلمات المفتاحية: محمد علي؛ مصر؛ القومية؛ النهضة؛ الدولة العثمانية؛ توسعات؛ الإمبراطوري؛ الوهابية؛ الجبرتي؛ الوحدة.

Abstract: Many historians wrote about Muhammad Ali Pasha and his experience and renaissance in Egypt, but their view was in two contradictory images, both of which are located on a far side from the other, in the first image showing Muhammad Ali in the image of the reformer, the savior and the great constructor, while the second image appears to us that it appears mighty An overpowering tyrant controls the fate of the country as well as his ownership, but most testimonies agree to describe him as a thirsty man for power and military action and political auctions that made him exaggerate his boundaries, and his potential, and thus would seem worthy of being the twin brother of his counterpart Napoleon Bonaparte, as these opinions have contradicted Between them about the reasons that led to these expansions and their goals, The matter that formed a question mark, and therefore the historians who dealt with this issue or referred to it in one way or another took each one to look at the issue in his view and in a concept that might agree or differ with others, as some of them returned to personal reasons, others to religious reasons, and some to national causes. The character of Muhammad Ali in the modern history of Egypt is the most controversial name and the difference between what they raise and describe as the builder of the modern Egyptian state and those who say that he was helping to destroy the Islamic entity and that the colonial European countries used it as a sharp tool to eliminate the Wahhabi religious movement that appeared in the Arabian Peninsula And the elimination of both the Ottoman Islamic caliphate and Mohamed Ali.

Keywords: Muhammad Ali Egypt; Nationalism; Renaissance; Ottoman Empire; Expansions; Imperial; Wahhabism; Al-Jabarti; Unity.

مقدمة: تاريخ العرب الحديث والمعاصر هو تاريخ صراع مثير بين الأمة وأعدائها، وهو تاريخ حافل بالمعارك والمواجهات والانتصارات والانكسارات، ومؤامرات التفتيت ومحاولات التوحيد، وهبّات التقدّم ونكسات التخلف، وهجمات الهيمنة الاستعمارية وحركات التحرر والاستقلال، وفوق هذا وذاك فهو تاريخ أمة حية، وفيه الكثير من العظات والعبر والدروس والتجارب المفيدة التي تهتم بأجيال الحاضر وقادة المستقبل في الوطن العربي عموما وفي مصر بالخصوص؛ فقد كتب الكثير من المؤرخين عن تجربة محمد علي في إقامة وحدة عربية بمساعدة الدول الأوروبية؛ فهذه التجربة تتميز بجانب كبير من الدقة، كما تعد معرفة تجربة محمد علي ضرورية لكل من أراد أن يؤرخ للعلاقات الإسلامية الغربية في العصر الحديث، لخصوبتها وثرائها من جهة، ولتداعياتها وتأثيراتها على الحياة الإسلامية المعاصرة من جهة أخرى، لهذا نجد أن حقبة محمد علي باشا وإصلاحاته خضعت لقراءات

متعددة؛ وعليه فهل كانت هذه القراءات تصب في بوتقة واحدة؟ أم كانت كل واحدة منها لها نظرة تختلف عن الاخرى؟

1- كتابة تاريخ مصر في العصر العثماني: يعتبر العصر العثماني من أقل عصور التاريخ حظا من اهتمام المؤرخين العرب عامة والمصريين خاصة، ولا يعود ذلك إلى ندرة مصادره الأصلية، بالعكس فما هو موجود منها يفوق الحصر، وإنما يرجع إلى ظروف سياسية بالدرجة الأولى أحاطت بهذا العصر الذي يقع بين عام 1517م الذي شهد الفتح العثماني وعام 1798م الذي شهد دخول الحملة الفرنسية، ومن تلك الظروف، ووقوع العصر العثماني بين عصرين استقطبا الكتابات التاريخية؛ لأن مصر كانت تلعب فيهما دور القوة الإقليمية الكبرى، ونعني بهما عصر سلاطين المماليك، وعصر محمد علي باشا؛ فما بين هذين العصرين كانت مصر مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية، ولم تلق الأضواء إلا على الحقبة التي شهدت محاولات إبراز كيان سياسي خاص لمصر مثل حركة علي بك الكبير، ومحاولة إحياء القوة المملوكية في القرن الثامن عشر بعد تآكل السلطة المركزية العثمانية في سياق تاريخي معين، ومن تلك الظروف أيضا انبهار فريق المؤرخين بالتغيرات الهامة التي شهدتها مصر في عصر محمد علي باشا، والميل إلى تفسيرها في سياق المؤثرات الحضارية الغربية التي جلبتها الحملة الفرنسية إلى مصر، والتي حملت بذور الحداثة؛ فحركت الركود الذي عانته مصر في العصر العثماني، وأكسبتها ملامح جديدة تختلف عما كانت عليه من قبل؛ فبدأت بذلك صفحة حديثة من تاريخ مصر، وهو اتجاه روج له المستشرقون، وتأثر بهم فريق المؤرخين الرواد الذين صاحبوا نشأة الجامعة المصرية، وشجع على ذيوعه الاهتمام الرسمي للدولة في عهد الملك فؤاد بإلقاء الأضواء الباهرة على تاريخ الأسرة العلوية، وإبراز منجزات محمد علي باشا والخديوي إسماعيل على وجه الخصوص، وركز المؤرخون دراساتهم على القرن التاسع عشر باعتباره عصر الحداثة، ولم يلقوا بالا للعصر العثماني؛ فإذا ذكروه جاءت نظرتهم إليه- غالبا- من خلال ما أورده الجبرتي ومعاصروه عن أخبار القرن الثامن عشر؛ فيعممون ذلك على العصر كله، ويرددون مقولات المدرسة الإستشراقية التي صادفت هوى عندهم، ولإبراز ما حدث في القرن التاسع عشر لابد من إضفاء الظلال على العصر كله الذي سبقه، والتركيز على دور المؤثر الخارجي في تحريك عجلة التغير[1]، والمؤثر الخارجي هنا هو الحضارة الغربية، وكأن مصر كانت عاجزة تماما عن الحركة؛ فلم تنهض إلا بعدما مدّ الغرب إليها يدها، وهذا ما تصوره أغلب الدراسات الغربية.

2- الصفات الروحية والأخلاقية لمحمد علي بين مادحيه وذاميه: صورتان متناقضتان كلاهما يقع على طرف بعيد عن الآخر، فالصورة الأولى تظهر لنا محمد علي في صورة المصلح والمنقذ والبنّاء العظيم، أما الصورة ثانية فتظهره لنا على أنه جبّارا طاغية، غليظ الفؤاد، يتحكّم في مصير البلاد كما يتحكّم في ملكه.

وعن خصاله وسيرته ومحاسن أخلاقه يحدثنا الشيخ بن أحمد الرجبي[2] في كتابه تاريخ الوزير محمد علي باشا قائلا: "... فمع كبير جلالته وشدة قوته، لطيف الألفاظ، فما كأنّهما إلا محاسن ألحاظ، بحيث أنه لا يخاطب الكبير ولا الجليل ولا الحقير إلا بألطف عبارة وحسن انسجام، مع تنزه خطاياه عن الصعوبة عن الدوام، جميع من كلمه من الخواص والعوام، وبهذا السبب تنجذب له النفوس بالمحبة، ولا يدخرون في خدمته من الاجتهاد وزن حبة، وهذا خلق شريف، ومعنى ملكي جميل ظريف..."[3].

ويذكر أيضا الإسكندر اليعقوبي[4] في مدحه لمحمد علي: " وكان مع عظمته وعلو شأنه لطيف الذات، ظريف الصفات، متصفاً بمكارم الأخلاف، وعلو الهمة، ومعاملة الكبير والصغير بالمكارم والرحمة، لا يميز بين الغني والصعلوك، ولا يُحابي مع الملك على الملوك"[5].

ويضيف أنطوان كلو (Antoine Clot)[6] مواصلا مدحه مثل سابقيه حيث قال: "لست أدعو أحدًا إلى اعتباره من رسل الحضارة والمدنية، بل أدعو إلى وجوب اعتباره من فحول الرجال والعبقريين، وأنه مع كونه لم يعلم شيئاً من شؤون الأمة التي ظهر بينها أمره، ولم يجد تشجيعا ولا مؤازرة على العمل، قد سلك مسلكاً مبنياً على الحذق وحسن التدبير، رام به الاستيلاء على زمام الحكم، ثم الاحتفاظ به بعد ذلك..."[7].

لكن أغلب الشهادات تتفق على وصفه بالرجل المتعطش إلى السلطة وإلى العمل العسكري، والمزايدات السياسية التي جعلته المبالغة فيها يتناسى حدوده وإمكاناته، وبهذا سيبدو جديراً بكونه الأخ التوأم لمثاله نابليون بونابرت.

يقول السير شارل موراي (Charles Murray) في كتابه الحامل لعنوان "مذكرة قصيرة عن محمد علي" إن: "هذا الرجل ولد من أجل المجد والقوة...، وخلق من أجل القيادة والتوجيه..."[8]، ويدعمه كلو بك بقوله: "... لم يكن طموحه يتغذى فقط على فرض هيمنته على مصر، بل كان يحلم بأن يخلد اسمه في صفحة من الصفحات المجيدة على نحو ما قرأ عن تاريخ نابليون..."[9]، كما أن السمة الظاهرة في شخصيته كما يشير بعض المؤرخين الحذر الشديد دون إغفال؛ إذ كان دائم الحذر من كل شيء ومن كل الناس بما في ذلك أبنائه الذي كان يراقب كل أعمالهم وتحركاتهم باستمرار، حيث كتب الأمير بوكلير موسكاو

(Puckler-Muskau) الذي كان يتميز بدقة الملاحظة في أعقاب زيارته له سنة 1837م حيث قال: "... وبغض النظر عن مظاهر سلوكه الأليف جدا، وعن سمات الرضى التي تعلو قسمات وجهه، والتي تمنحك الانطباع أنك أمام أطيب الحكام وأكثرهم رقة ومودة، إلا أن ذلك لا يمنع من أن يصدر عن سماته تعبيرا عن الحذر الشديد في اللحظات التي كان يعلم أن جليسه لا ينظر إليه..."[10]، يبدو أن هذا الحذر لم يكن يمنعه من أن يعبر أحيانا بصدق كبير كقوله: "لا تحكموا علي مقارنة بكم، قارنوني بالجهل الذي يحيط بي، فلا يمكنكم أن تطبقوا القوانين نفسها في مصر... تلزمنا قرونا طويلة لنصل إلى المستوى الذي بلغتموه...، لديكم عدد كبير من الأذكياء الذين يستوعبون إرشادات رؤسائهم، ولا أستطيع إيجاد قلة من الناس يستطيعون فهمي وتنفيذ أوامري، أبحث عن أي شخص يمكنه مدي بالمعلومات فيخيب الآخرون بسلوكهم أملي، وقد يحدث أحيانا أن يخيب أملي حتى في نفسي"[11].

كما اتصف محمد علي في مذكرات إدريس أفندي بأنّه حاكم تميز بطابع القسوة والظلم والإرهاب، وعن العدالة في دولة محمد علي باشا قال: "إننا نتورط في الخطأ إذا قلنا أنّ في ذهن الباشا أفكارا منطقية عن العدالة، وأنّ في قلبه حباً حقيقيا لها، فالقانون الذي أذاعه محمد علي أطنب المطنبون في الإشادة بحكمته وتماشيه مع روح الحرية، ولم يوضع يوماً موضع التنفيذ، ويدعو الفلاحون محمد علي باسم "ظالم باشا" لأنّ روح محمد علي في فرض الضرائب والنهب وعدم النزاهة في ابتزاز المال روح لا نظير لها، وأنه لم يكن يرد دفع مرتبات لأحد لا للجيش ولا للموظفين ولا للعمال، ويود أن يدبر أمره بحيث يخدمه الجميع..."[12].

أما الجبرتي فقد كانت له نظرة أخرى عكس ما كتبه الشيخ الرجبي واليعقوب؛ فقد وصف محمد علي بأنّه: "شاب مغرور وجاهل وظالم غشوم وأطلق عليه اسم "باشا النصارى"، وعلى الرغم من كراهية عبد الرحمن الجبرتي للوالي محمد علي لما رآه من ضروب العنف والاستبداد والقسوة التي وقعت في عهده، ووضْعه لأدوات الإنتاج في يده، وقيامه بإلغاء الالتزام[13] الذي أضره شخصيا؛ فقد كانت كتاباته عنه في معظم الأحيان تتسم بالموضوعية؛ فأشاد بمحمد علي في بعض المواقف وانتقده في مواقف أخرى.

واختلف الناس في تقدير أعمال محمد علي كما هي عادتهم في شأن سواه من عظماء الرجال؛ فمنهم على ما يقول بريس دافين[14] (Prisse D'avennes) من رأى فيه ذلك البطل الذي استطاع أن يعيد الحياة إلى مصر، ويجعل منها بلدا له حظه من الحضارة والمدنية، ومنهم من رأى فيه ذلك المغامر الحاذق الذي سعى في سبيل الحاكم ليستأثر بكل سلطة،

ويستغل الباشوية التي دانت لسلطانه استغلالا يحقق مصلحته الشخصية وحدها..."[15]، وكان من الطبيعي أن يعمد فريق المادحين إلى الإشادة إلى ذكر ما تم على يديه من الإصلاحات، والتحدث عن ما بذله من جهود حتى ينهض بتلك البلاد التي ظل يسوي أمورها أكثر من أربعين عاما، أما فريق القادحين فقد حاول الحط من قيمة هذه الجهود وتلك الاصلاحات ناظراً إلى الباشا من خلال منظار أسود؛ "لأن هذا نصيب الرجل الذي ترفعه العناية الإلهية فوق أقدار الرجال" كما يقول مانجان[16] (Mengin)[17].

وكثيراً ما دَوَّن الذين عاصروا الباشا من أولئك المادحين والقادحين آراءهم في رسائل وتقارير انتفع بها المؤرخون في تقدير أعمال محمد علي باشا؛ لأن مرور قرن من الزمن أو ما هو دون ذلك بقليل عن وفاة الباشا كفيل بأن يقضي على كثير من البواعث الشخصية التي تفسد على الناس أحكامهم إذ تميل بهم إما إلى جانب التحامل أو إلى جانب المحاباة، ولما كانت كتابات الذين عاصروا الباشا، وراقبوا تصرفاته عن كثب المنبع الأول الذي نستقي منه معلوماتنا عن الوالي، وحالة مصر في عهده؛ فإنّ الوقوف على ما تتضمنه تلك الكتابات من مختلف الآراء أمر ضروري لا مناص منه، وقد أصدر جان ماري كاريه (jean marie carré) في عام 1932م كتابا عنوانه "السائحون والكتاب الفرنسيون في مصر" يجد القارئ في محتواه كثيرا من الحقائق والآراء التي تساعده على فهم ما اصطنعته طائفة كبيرة من المعاصرين الذين تصدوا للحكم على أعمال الباشا من طرائق وأساليب.[18]

2- تقييم المؤرخين لمشروع محمد علي باشا في مصر: اختلف المؤرخون في تقييم مشروع محمد علي أيضا، إلا أنهم اتفقوا على أنه حاول تنفيذ مشروعه هذا ليس من منطلق دوافع قومية عربية، وإنما من منطلق دوافع شخصية[19]، وللدكتور أنيس الصايغ رأي في ذلك إذ ذكر أن حملات محمد علي في بعض البلدان العربية "... لم تكن عملاً عربياً بأي حال، ولم تكن الدوافع عربية بقدر ما كانت بتأثير بعض الدول الأوروبية وتحريضها..."[20].

أما رفاعة رافع الطهطاوي فقد عارضه في ذلك كغيره من المفكرين المصريين الذين تأثروا بأعمال محمد علي، ويذكر أن فتوحات محمد علي باشا في بلاد الشام كانت لبعث الروح القومية في نفوس الشعب، ولم تكن من محض العبث، وإنما جل القصد وتنبيه أعضاء ملة وجنسية عظيمة[21].

كانت إنجازات محمد علي الزراعية والصناعية والاجتماعية والعلمية، قد دخلت إلى مصر على يد رجال من أوروبا، مما فسح المجال لتسلط النفوذ الأجنبي، وأنّ النهضة الأوروبية التي أدخلها محمد علي إلى مصر هي نتاج خاص بأوروبا قد لا يصلح للشعوب

العربية الإسلامية، أما الجبرتي فقد وصف محمد علي بأنه مخادع وظالم، وبأنه ماكيافيلي[22]، وهذه الصفات هي التي رشّحته لأن يصبح والياً على مصر، ووصفه بعدم المبالاة بالإسلام، وهي التي تبحث عنها المحافل الماسونية لصناعة الرجال الذين يدمرون الإسلام من الداخل، والدليل على ذلك أن عهد محمد علي شهد تأسيس أكثر من محفل ماسوني في مصر، كالمحفل الذي أنشاه الإيطاليون في الإسكندرية عام 1830م[23].

كانت الدول الأوروبية تطمح إلى الاستيلاء على بلد معين من بلدان الشرق لكي تسارع بافتتاح المدارس التبشيرية بمبعوثيها الدينيين (الإرساليات التبشيرية) ليُعدّوا لها طريق الاستعمار، والدليل ما قاله المبشر زويمر (Zwemer) رئيس مؤتمر المبشرين الذي عقد في القدس عام 1935م عندما خاطب زملاءه بقوله: "لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى توفيق، إن مهمة التبشير (التظليل) التي ندبتكم إليها دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، والفضل إليكم وحدكم في هذه الحقبة (من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا) على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع أماكن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية، إنكم أعددتم في ديار المسلمين جيلاً لا يعرف الصلة بالله، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية"[24]، ويمكن القول أن الضعف الداخلي للعرب آنذاك كان يقابله التآمر الخارجي الذي استهدف الكيد للشريعة الإسلامية وتشويه معالمها الفكرية.

كان محمد علي أول حاكم على مصر يفصل بين علوم الدين ومركزها الأزهر والعلوم العقلية ومركزها المؤسسات التعليمية الحديثة التي أنشاها؛ فقد عزل الأزهر بالتدريج عن مجالات الحياة والمجتمع، وقلص دور علماء الدين في شؤون الدولة، وأرسى لأول مرة نظام تعيين شيخ الأزهر من قبل الحاكم، وهو النظام الذي ما زال قائماً حتى الآن، وقد حاصر الأزهر بشبكة من المدارس العلمانية الحديثة[25]، لذلك كتب الشيخ محمد عبده[26] في مجلة المنار عام 1902م، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس أسرة محمد علي قائلا: "إن لمحمد علي ثلاثة أعمال كبيرة كان كل منها موضع خلاف: كان نافعاً أو ضاراً بالمسلمين في سياستهم العامة"[27].

أولا: تأسيس حكومة مدنية (علمانية) في مصر أي كانت مقدمة لاحتلال الأجانب لها.

ثانيا: قتاله للدولة العثمانية بما أظهر به للعالم كله ولدول أوروبا خاصة ضعفها وعجزها؛ لذلك جرّأهم على التدخل في أمور سياستها.

ثالثا: مقاتلة الحركة الوهابية، والقضاء على ما نهضت به من الإصلاح الديني في الجزيرة العربية.

كما كتب الشيخ محمد عبده مقالاً في المنار جاء فيه: "هذا يعني أن محمد عبده ومدرسته الفكرية لا ينسون مساوئ محمد علي في نسخ الأحكام الشرعية، وإعلانه العلمانية في مصر، وهو أول من تجرّأ في العالم الإسلامي على استبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الأوروبية، ولا ينسون قتاله لخليفة المسلمين مما يعد حرابةً، ولا ينسون قضاءه على الدولة السعودية العربية المسلمة المصلحة السلفية"[28].

وفي تقييمه لتجربة محمد علي يقول الشيخ محمد عبده: "ما الذي صنع محمد علي؟... لم يستطع أن يحيي ولكن استطاع أن يميت، كان معظم قوة الجيش معه، وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة؛ فأخذ يستعين بالجيش، وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من خصومه، ثم يعود بقوة الجيش، وبحزب آخر على من كان معه أولاً، وأعانه على الخصم الزائل فيمحقه، وهكذا حتى إذا سحقت الأحزاب القوية، وجه عنايته إلى رؤساء البيوت الرفيعة؛ فلم يدع منها رأسًا يستقر فيه ضمير أنا، واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهلين، وتكرر ذلك منه مرارًا، حتى فسد بأس الأهالي، وزالت مَلَكة الشجاعة منهم، وأجهز على من بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها؛ فلم يبق في البلاد رأسًا يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه، أو نفاه مع بقية إلى السودان؛ فهلك فيه، وأخذ يرفع الأسافل ويعليهم في البلاد والقرى، وكأنه كان يحن لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم، حتى انحط الكرام وساد اللئام، ولم يبق في البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال، وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أي وجه؛ فسحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال، ليُصيّر البلاد المصرية جميعًا إقطاعًا واحدًا له ولأولاده[29].

لذلك يمكن القول أنه مهما قيل عن محمد علي وبناء دولة مصر الحديثة؛ فإن محمد عبده ينفي عنه ما ينسب له من إصلاح، بل ينسب إليه قتل كل روح للشهامة والنخوة في مصر.

أما محمد رشيد رضا[30] فقد هاجم محمد علي في إحدى مقالاته حيث قال: "إن مصر بدأت تتجه نحو الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ أيام محمد علي متفوقة على تركيا"[31].

كما سجّل عليه الجبرتي الذي عاصر محمد علي من السيئات ما سجل، ورصد تحركاته المشبوهة وانتهاكاته المكشوفة التي تكون كافية لتقييم تلك الشخصية[32]؛ فيذكر الضيق والكرب الذي حلّ بالمسلمين، وركون محمد علي إلى النصارى، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، إذ أن أغلب المحيطين به من النصارى واليهود؛ فآلمه ما وصل إليه الكفار من المكانة التي تبوؤها في عهد محمد علي، ويقول محمد قطب: "إن المخطط الخبيث الذي حمله الصليبيون وهم يجوسون خلال الديار هو نبش الأرض الإسلامية لاستخراج حضارات ما قبل التاريخ لذبذبة ولاء المسلمين بين الإسلام وبين تلك الحضارات، تمهيداً لاقتلاعهم نهائياً من الولاء للإسلام، وبذلك يكون محمد علي باشا قد ساعد هؤلاء الصليبين في تنفيذ مخططاتهم، والوصول إلى أهدافهم، وأن فرنسا قد احتضنت محمد علي احتضاناً كاملاً لينفذ لها كل مخططاتها، حيث أنشأت له جيشاً مدرباً ومجهزاً بأحدث الأسلحة المتاحة، وذلك ليس حباً في شخص محمد علي أو حباً في مصر، وإنما كان لتنفيذ المخطط الصليبي الذي عجزت الحملة الفرنسية عن تنفيذه بعد أن اضطرت للرحيل، وكان ذلك المخطط يرمي إلى القضاء على الدولة العثمانية، والقيام بتخريب العالم الإسلامي عن طريق تخريب مصر- بل الأزهر، وقد قام محمد علي بالدور خير قيام"[33].

ويتضح مما سبق أن محمد علي كانت له غاية كبيرة، وهي تحجيم دور الأزهر في المجتمع المصري كمؤسسة دينية وتعليمية، كما أن السياسة التي جاء بها كانت تحقيقاً لأهداف الحملة الفرنسية على مصر بدليل ما أشار إليه المؤرخ الانكليزي أرنولد ثوينبي (Arnold Toynbee) بقوله: "...كان محمد علي ديكتاتورياً أمكنه تحويل الآراء النابوليونية إلى حقائق فعالة في مصر..."[34].

وبلغ محمد علي درجة كبيرة من الظلم حيث أمر الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر بلزوم داره، وعدم الخروج منها حتى إلى صلاة الجمعة[35]، كما نفى نقيب الأشراف عمر مكرم الرجل الأول في إيصاله إلى الحكم، وأول من بايعه من الناس[36].

أما سياسة التغريب التي سار عليها محمد علي فتمثلت في إنشاء نظام تعليمي جديد على نمط الأنظمة التعليمية في الغرب، وإرسال البعثات إلى أوروبا التي حملت بعد عودتها بذور التخريب والعلمنة، يقول أحمد عزت عبد الكريم: "ومهما يكن من شيء فقد ظهر لمحمد علي أن التعليم في الأزهر لا يمكن أن يحقق أغراضه؛ لأن التعليم الذي كان وحده الوسيلة لتحقيق أغراضه، وكان هذا كافياً ليحمل محمد علي أن يحول وجهه عن الأزهر"[37]، وبهذا المعنى يمكن أن يُعدّ أول علماني حقيقي في العالم العربي والإسلامي الحديث.

في حين يدافع بعض المؤرخين المعاصرين أمثال الدكتور رءوف عباس حامد[38] الذي ردّ على المؤرخين في كتابه "كتابة تاريخ مصر... إلى أين؟ أزمة المنهج ورؤى نقدية" حيث قال فيه: "ولا شكّ أن التحولات التي تمت على يد محمد علي باشا لم تنشأ من فراغ، وخاصة أنه لم يعتمد على رأس المال الأجنبي في إقامة البنية الأساسية لاقتصاد السوق الخاضع لإدارة الدولة، وإنما اعتمد على موارد مصر وحدها طوال حكمه، وحقق التراكم الأولي اللازم لإقامة تلك البنية من خلال إعادة تنظيم الاقتصاد المصري، وتوجيه بعض قطاعاته وجهات جديدة"[39]، وبعدها يبدأ بطرح مجموعة من التساؤلات من أجل إقناع وجهة نظره بقوله: "فمن أين استطاع الاقتصاد المصري في مطلع القرن التاسع عشر أن يوفر كل تلك الموارد إذا كان اقتصادا تقليديا راكدا؟ وكيف استطاع المجتمع المصري أن يتجاوب مع إصلاحات محمد علي إذا كان مجتمعا يعاني من الاضمحلال والتخلف؟ بل كيف استطاع العامل المصري أن يستوعب الأساليب الفنية الحديثة في مصانع محمد علي إذا كان عطلا من الخبرة، مفتقرا إلى الاستعداد؟ وأخيرا كيف استطاع الفتية المصريون الذين تعلموا في ظل نظام التعليم التقليدي في العصر العثماني أن يتجاوبوا مع التعليم الحديث، بل ويتابعوا الدراسة في المعاهد الفرنسية إذا كان النظام التعليمي الأساسي الذي أخرجهم متخلفا عاجزاً؟ وكيف استطاع الفلاح المصري أن يستوعب فنون القتال الحديثة، ويشكل قوام جيش فرض سيطرة محمد علي على الشرق الأوسط إذا كان ذلك الفلاح لا يملك الاستعدادات والقدرات اللازمة لذلك؟"[40]، وبعدها يجيب على هذه تساؤلات بقوله: "كلها تساؤلات تحتاج إلى إجابات شافية تدعمها الدراسة الدقيقة للواقع المصري عند ظهور محمد علي؛ فما فعله محمد علي كان بمثابة إعادة ترتيب ما توفر لديه من أوراق، أي إعادة تنظيم البنية الأساسية في مصر بالاستفادة من مكوناتها الأصلية حقا، لجأ محمد علي إلى الخبرة الأجنبية؛ فاستعان بالفرنسيين وغيرهم في شتى المجالات، لكن كان ذلك على نطاق محدود، وظلت اليد العليا في حركة الإصلاح التي أدخلها محمد علي لعناصر عثمانية أو مصرية، وجاء نسق الإصلاح مختلفا عن النمط الغربي، ملبيا للظروف الموضوعية للمجتمع المصري التي تضرب بجذورها في أعماق تاريخ مصر عبر العصر العثماني، ولو كان المجتمع المصري تقليديا راكدا مضمحلا لما كان بمقدور محمد علي أن يصنع المعجزات، فيُحدِّث التقليدي، ويُحرّك الراكد، ويستنهض المضمحل، وخاصة أنه كان شرقيا عثمانيا ينتمي إلى نفس الثقافة بما لها وما عليها، وما تحقق على يد محمد علي لم ينشأ من فراغ، وإنما اعتمد على الأساس الراسخ للتجربة التاريخية المصرية، ويعني ذلك أن واقع مصر في

العصر العثماني كان له شأن آخر غير الذي شاع في كتابات مدرسة "الحداثة"، واستطاعت نللي حنا في دراستها لثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق16- 18م) أن تثير الشكوك حول مصداقيته[41].

وبالرغم من التحولات الإدارية والاقتصادية والسياسية التي أحدثتها تجربة محمد علي باشا، إلا أنها كانت دون مستوى الطموح من حيث التأثير والنتائج، لاسيما أنه تبنى سياسة إدارية لم تراع فيها خصائص المصريين، واقتصرت المناصب العليا على العناصر الأجنبية، في حين لم تكن حصة المصريين إلا الوظائف الصغيرة[42]، ومع أن عهد محمد علي كان عهداً فيه عمران وإصلاح، لكنه في نفس الوقت كان عهد حروب خُتمت بمعاهدة لندن 1840م، والتي مهدت الطريق للتغلغل الرأسمالي الأوروبي في مصر[43]؛ فالنتائج السلبية لسياسة محمد علي في توجهه نحو الغرب هي اعتماد مصر على الأسواق الأوروبية، والتي جعلت مصر أكثر تعرضاً للتدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية[44]، ومع أنه استطاع تحقيق مطامعه الشخصية في الوصول إلى الحكم، وجعل حكم مصر وراثياً لأسرته من بعده؛ لكنه في نفس الوقت مهد الطريق أمام التدخل الأجنبي في الدولة العثمانية، ولو أنه وقف بجانب السلطان العثماني لتمكّن من إبعاد التدخل الأوروبي الذي انتهى بالاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م.

ومما رافق أيضاً تجربة محمد علي الفكرية في مصر، والتخلف الاجتماعي والثقافي عدم نضوج التجربة الحديثة في المجتمع المصري، لكن استبداد محمد علي وجهله جعله أكثر حكام عصره استنارة ورقي؛ فقد تمكن من زحزحة الركود المصري، وبناء اقتصاد حديث أثّر فيما بعد في بلورة مفاهيم جديدة في المجتمع المصري خلال القرن التاسع عشر[45]، والمهم في مشروعه أن فشله كان نتيجة للتدخل الأوروبي الذي انتهى بتوقيع معاهدة لندن 1840م، والتي أعطت مصر نوعاً من الاستقلال الذاتي الذي أدى إلى أن تكون لمصر شخصية منفصلة عن البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني المباشر، إذ أدى ذلك إلى أن تتوارث أسرة محمد علي الحكم على مصر، والأخطر من ذلك أن فشل مشروعه فتح المجال أمام الدول الأوروبية للتدخل في شؤون البلاد العربية من خلال الإرساليات والامتيازات الأجنبية.

الخاتمة: من خلال دراستنا توصلنا إلى النتائج التالية:

- اختلف المؤرخون والمفكرون والمثقفون في تقييم تجربة محمد علي النهضوية، مثلها مثل سائر التجارب الإنسانية: الحضارية والسياسية، ويمكن رصد ثلاثة مواقف تجاهه ما بين موافق ومعارض ومحايد.

- كانت محاولة محمد علي النهضوية مبكرة وجريئة من أجل بناء دولة حديثة؛ فقد نجح في ذلك سياسيا ومؤسساتيا، وفي نفس الوقت فشل فيه اجتماعيا؛ لأنها لم تجد سنداً شعبياً، مما جعل عملية التحديث تقتصر على هياكل الدولة، لكن يبقى النظام المصري من أبرز تجارب التحديث في الوطن العربي في القرن التاسع عشر؛ حيث اكتملت له على مدى سنين صياغة نظامه السياسي على صورة يمكن أن تسمى العثمانية الحديثة.

- فشل محمد علي في تحقيق مشروعه، لكن هذه التجربة التاريخية المسماة "المسألة المصرية" عبّرت عن طموحات قوة فتية محلية أرادت أن تلعب دوراً بارزاً في تاريخ المنطقة؛ مستفيدة من نهضتها الاقتصادية والعسكرية، لكن هذا اصطدم بمصالح القوى الأوروبية الرئيسية التي رأت في توحيد المنطقة تحت قيادة قوة محلية صاحبة أرض يتعارض مع نفوذها ومصالحها، لأن أكبر خطر يتهدد مصالح أوروبا في منطقة الشرق العربي يكمن في توحد أبنائها، واستغلالهم ثرواتها الوطنية بأنفسهم، فضلاً عن سيطرتهم على منطقة ذات أهمية استراتيجية.

- ارتكب محمد علي أخطاء على صعيد السياسة الإقليمية؛ فقد أدى القضاء على الدولة الوهابية إلى تكريس الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج العربي، وأدت سياسة مواجهة السلطنة العثمانية وتقطيع أوصالها إلى إضعافها، وجعلها أكثر عرضة للنفوذ الأجنبي.

- على صعيد السياسة الخارجية لم يتمكن محمد علي من فهم ديناميكية النظام الدولي ومقوماته؛ فلم يرمم لنفسه حدوداً معينة تسمح بها إمكانياته وقواعد اللعبة الدولية، كما لم يستطع فهم طبيعة النظام الفرنسي، وتوازنات الجبهة الداخلية فيه، والحدود التي يتجاوزها طوعاً أو كرهاً؛ فعندما اقتربت المواجهة مع الغرب بعد معركة نصيبين عام 1840م لم يدرك المغزى الجوهري المفاجئ في السياسة الروسية وفي الساسة النمساوية المحافظة، ولم يدرك حين هدد باكتساح الأناضول واحتلال الاستانة بينما كانت الثورة مشتعلة في سوريا وجبل لبنان وفلسطين والأساطيل الأجنبية أمام سواحل دولته.

الهوامش:

1- رؤوف عباس حامد، تاريخ مصر ... إلى أين؟ أزمة المنهج ورؤى نقدية"، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص131-132.

2- الشيخ الرجبي : هو جليل بن أحمد الشافعي الشاذلي، هناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ مولده وتاريخ وفاته، فيذكر إسماعيل البغدادي في كتابه "إيضاح المكنون وهدية العارفين" أنه توفي سنة 1827م، بينما يذكر عمر رضا كحالة في "معجم المؤلفين" أنه كان حياً سنة

1829م، كان الرجبي مؤرخاً، متكلما صوفيا، وأديباً وشاعراً، وكان ميسور الحال، وقربا من الأسرة العلوية. الرجبي جليل بن أحمد: تاريخ الوزير محمد علي باشا، تح دانيال كريسيليوس وآخرون، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، صص16- 18.----3 – المصدر السابق، ص84.

4- إسكندر يعقوبي: كاتب لبناني معروف، أحد أشهر الكتاب البارزين من الشوام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ينحدر من أصول أرمينية، وصار أحد كبار أعيانها، ثم ما لبث أن توطدت علاقته بإبراهيم باشا نجل محمد علي، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "نهاية الأرب في أخبار العرب"، وطبع بعد ذلك في بيروت تحت اسم "تزيين نهاية الأرب في أخبار العرب"، وله أيضا كتاب "روضة الأدي في طبقات شعراء العرب'،' وكتاب "منبه النفس في أشعار عنتر عبس"، وغيرها من الدواوين والمؤلفات التاريخية. إسكندر اليعقوبي آغا أبكاريوس الأرمني، تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية، تح أحمد المنعم، مج وتق رؤوف عباس، مركز الدراسات الأرمينية، القاهرة، 2009، صص10- 19.----5- المصدر نفسه، ص60.

6- كلو بيك: أنطوان براثيليمي كلوت Antoine Barthelemy Clot :المشهور ب كلو بيك أو كلو بيه، طبيب فرنسي ولد سنة 1793م بمرسيليا، عاش فترات طويلة من حياته فى مصر بعد ما طلب منه محمد على باشا تنظيم الإدارة الصحية للجيش المصري، وبقى رئيس أطباء الجيش. أخد لقب "بك" كتكريم لجهوده وصبره، رجع لمارسيليا سنة 1849 ومات هناك سنة 1868م. جورجي زيدان، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ج2 صص12- 15.

7 - كلوت بيك، لمحة عامة إلى مصر، تر. محمد مسعود، القاهرة، د. ت، ج3، ص176.---- 8 - نقلا عن جليبرت سينويه، الفرعون الأخير محمد علي (1770- 1849)، تق: دبروشنوبلكور، تر. عبد السلام المودني، ط1 منشورات الجمل، بغداد- بيروت، 2012، ص39.----9- كلو بك، المصدر السابق، ص177.----10- جليبرت سينويه، المرجع السابق، ص40.----11- نفس المرجع، ص40.----12- إدريس أفندي، إدريس أفندي في مصر (مذكرات الفنان المستشرق بريس دافين في مصر 1808م- 1879م)، تر: أنور لوقا، د، ت، ص23.

13- الالتزام: هوطريقة لجباية الضرائب اتبعتها الدولة العثمانية، يعطى حق جمع الضرائب إلى أشخاص يسمون مقاطعجية أو ملتزمين، مقابل أن يدفعوا مسبقاً مبلغاً من المال عن المنطقه التي خضعت لهم، وبموجب هذا يتسلم من السلطة العثمانية صكا يخوله جباية الضرائب في هذه المنطقة، وكانت مدة الالتزام في الأساس، لسنة واحدة، واشترط على الملتزم عدم تحصيل أكثر من النسبة المعينة حيث كان الملتزم يدفع من صافي ما يجمع من الأموال بعد النفقات المختلفة، جزءاً لخزينة السلطان، ولكن بانحطاط الدولة أصبح الملتزمون يستغلون مناصبهم ويجمعون أكثر من المبالغ القانونية، ويسيئون بذلك إلى الفلاحين والى اقتصاد الريف بصورة عامة، وبلغ من ازدياد قوة وسلطة بعض الملتزمين إزاء ضعف الدولة أن احتكروا الالتزام عدة سنوات، وأورثه بعضهم إلى أبنائهم من بعدهم، وأصبحت غالبية الملتزمين تتمتع بسلطة سياسية، ولم يبق امام محمد علي لبسط سيطرته على مصر سوى المماليك، وهم اشد معارضيه فقام محمد علي بإلغاء ضريبة الالتزام لان معظم الملتزمين من المماليك فهكذا عمل محمد علي على ضرب مركز المماليك الاقتصادي بالإضافة إلى ذلك قام محمد علي بتدبير مؤامرة للتخلص من المماليك نهائيا فقام بدعوتهم للاشتراك في حفل رسمي في القلعة لتوديع ابنه طوسون الذي كان متجها لمحاربة الحركة الوهابية في الجزيرة العربية فتم ذبح المماليك في القلعة فهذا اصبح محمد علي سيد الموقف في مصر بدون منافس ومهدت الطريق امامه لتحقيق اهدافه الرامية الى بناء امبراطوريه عظمى تحمل اسمه واسم ابناءه واحفاده من بعده. جمال بدوي، محمد علي وأولاده، مكتبة الأسرة، مصر، 1999، ص 24.

14- المعروف بإدريس أفندي. ينظر: إدريس أفندي، المصدر السابق، ص17.----15- المصدر نفسه، صص76- 79.----16- فيلكس مانجان مؤرخ فرنسي في عهد نابليون، ألف عدة كتب عن مصر أيام محمد علي باشا وعن الجزيرة العربية. فليكس مانجان و محمد خير البقاعي، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية، ط1، دار الملك علد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2003، صص10- 17.----17- محمد فؤاد شكري وأخرون، بناء دولة مصر محمد علي،(د.ط)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ج1، ص3.
----18- المرجع نفسه، ص3.

19- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسة إلى عصر إسماعيل، ص157/محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، ص78 .----20- نقلا عن فؤاد المرسي الخاطر، حول الفكرة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1985، ص31 .----21- رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1973، ص133 .

22- طلب محمد علي باشا من وزيره أرتين الذي كان يترجم له كتاب الامير ميكيافيلي وبعد ثلاث أيام قال الباشا: "إني أرى بوضوح أنه ليس لدى مكيافيلي ما يمكنني أن أتعلم منه، فأنا أعرف من الحيل فوق ما يعرف فلا داعي للاستمرار في ترجمته". ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية في مصر 1805- 1936، المؤسسة العربية للدارسات والنشر ، بيروت ، 1972، ص15.

23- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع الاسلامية، بورسعيد، ص318-320 .----24- نقلاً عن عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، الرياض،د.ت، ص213.----25- محمد كامل ظاهر، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط2، دار البيروني للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص50-51- محمد فؤاد شكري، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص 230.

26- من مؤسسي النهضة الفكرية المصرية الحديثة، وكبار الدعاة في التجديد الديني والإصلاحي في العالم الإسلامي، ولد في قرية نصر بمحافظة البحيرة في مصر سنة 1845، درس في الأزهر وحفظ القرآن الكريم، احد تلامذة جمال الدين الأفغاني، عُهد أليه بالتدريس في المدارس الأميرية، تولى تحرير صحيفة "الوقائع المصرية"، اشترك في الثورة العرابية فصدر عليه الحكم بالنفي، فاختار بيروت ومنها رحل إلى باريس حيث التقى بالأفغاني فاصدرا مجلة "العروة الوثقى"، عاد إلى مصر بعد العفو عنه سنة 1888، فانصرف إلى قضايا التجديد الديني والإصلاحي، اختير عضواً في مجلس شورى القوانين، عين مفتياً لمصر سنة 1899، توفي في القاهرة عام 1905، من أشهر أعماله الأدبية: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مج2، ص 1666/فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ط1، بيروت، 1978، ص526 .----27- سيد بن حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ط1،المدار ماجد للنشر والتوزيع، جده، 2004، ج1 ص8.----28- المرجع نفسه، ص8 .----29- المرجع نفسه، ص9.

30- ولد في القلمون من طرابلس الشام سنة 1865، وفي مدارسها نال تعليمه، رحل إلى مصر سنة 1898 والتقى بالشيخ محمد عبده وفيها أصدر مجلة "المنار"، ومن نشاطاته البارزة في مصر تأسيسه لمدرسة الدعوى والإرشاد، قصد سوريا أيام الملك فيصل بن الحسين، تم اختياره رئيسا للمؤتمر الإسلامي في سوريا، توفي في القاهرة سنة 1935، من أبرز مؤلفاته تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، تفسير المنار، الوحي المحمدي. فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ص563 .

31- نقلاً عن سيد بن حسين العفاني، المصدر السابق، ص11 .----32- انتقد الكثير من المؤرخين ذوي المنهج الاشتراكي الجبرتي في إسرافه كما يقولون في نقد محمد علي، وقالوا: إن الجبرتي لم يعش ليرى ثمرة ما قام به محمد علي من أعمال عظيمة، مع أن تاريخ الجبرتي يقف عند عام 1236هـ/1821م، أي بعد حوالي ستة عشر عاماً من ارتقاء محمد علي لعرش مصر . سيد بن حسين العفاني، المصدر السابق، ص12.----33- سيد بن حسين العفاني، المصدر السابق، ص20-21 .----34- المصدر نفسه، ص28.

35- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج3 ص191.----36- سيد بن حسين العفاني، المصدر السابق، ص33 .----37- تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، 1938، ص121.---38- الدكتور رؤوف عباس حامد: مؤرخ مصري ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وأستاذ التاريخ بجامعة القاهرة. رؤوف عباس حامد، المرجع السابق، ص3.----39- رؤوف عباس حامد، المرجع السابق، ص137.----40- المرجع نفسه، ص137.----41- المرجع نفسه، ص138.----42- أنيس صايغ، الفكرة العربية في مصر ، د. ت، بيروت، 1959، ص17 .----43- لوتسكي، تاريخ الأقطار العرابية الحديثة، ط8، دار الفرابي، بيروت، 1985، ص183.----44- صلاح احمد هريدي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1805 -1882، ج2، ط1، القاهرة، 2000، ص426.----45- سيار كوكب علي الجميل،تكوين العرب الحديث (1516-1916)، ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1991، ص304.